Journal of Arabic Language and Literature (JALSL) • Vol 2, Issue 5 (2023) • P: 48 - 36
https://journals.ajsrp.com/index.php/jalsl
ISSN: 2790-7317 (Online) • ISSN: 2790-7309 (Print)

The effect of semantic contrast on text interpretations in the exegesis of Al-Zamakhsharī

Dr. Alhassan Abdur-Rahim Husein
School of Languages | University of Ghana | Legon

Received: 12/06/2023
Revised: 24/06/2023
Accepted: 18/09/2023
Published: 30/12/2023

* Corresponding author: aahusein@ug.edu.gh

Citation: Husein, A. A. (2023). The effect of semantic contrast on text interpretations in the exegesis of Al-Zamakhsharī. *Journal of Arabic Language Sciences and Literature, 2*(5), 36 – 48 . https://doi.org/10.26389/AJSRP.E120623

2023 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: This paper investigates the role of semantic contrast in conveying the meanings of Quranic texts in Al-Zamakhsharī's exegesis, Al-Kashshāf. Semantic contrast is one of the major types of relationships that exist between the meaning of words, phrases or sentences. The study highlights the significance of semantic contrast and its impact on understanding Quranic texts. It also demonstrates to what extent semantic contrast influences the interpretation of texts in the context of Al-Zamakhsharī's exegesis. Through a content analysis of samples from Al-Kashshāf, the study examines the effect of semantic contrast on the meanings of Quranic texts. The findings of the study confirm the presence of semantic contrast in individual words and structures in the Quran. Additionally, the study found that the relationship between opposing pairs can manifest as a contradiction, contrast, or divergence in both form and meaning or in meaning alone. Furthermore, it found that Al-Zamakhsharī does not consider semantic contrasts as mere stylistic embellishments but instead focuses on them to bring forth the hidden meanings of Quranic texts.

Keywords: Al-Zamakhshārī, Al-Kashshāf, Semantic Relationships, Semantic contrast, Opposing pairs.

التقابل الدلالي وأثره في تفسير النصوص القرآنية عند الزمخشري

الدكتور / الحسن عبد الرحيم حسين
كلية اللغات | جامعة غانا | ليغون

المستخلص: تناولت هذه الدراسة ظاهرة التقابل الدلالي وأثره في إيصال دلالات النصوص القرآنية ومقاصدها في تفسير الزمخشري الكشاف. والتقابل الدلالي هو إحدى الظواهر الدلالية، ومنها الترادف والتباين والاشتقاق اللفظي، التي تشكل بمجموعها ما يسمى بالعلاقات الدلالية، وهو أكثر العلاقات الدلالية أهمية. تسعى هذه الدراسة إلى إبراز أهمية الظاهرة وأثرها في فهم النصوص القرآنية، وبيان مدى اعتماد الزمخشري عليها في تفسيره للآيات القرآنية، من خلال تحليل نماذج لمظاهر التقابل الدلالي في تفسير الكشاف، وذلك باتباع المنهج الاستقرائي والوصفي، مع بيان موقف اللغويين فيها والعوامل التي تتحكم فيها. وأظهرت الدراسة وجود التقابل الدلالي في الألفاظ المفردة والتراكيب في القرآن الكريم، وأن العلاقة القائمة بين الثنائيات المتقابلة تتمثل في التضاد أو التخالف أو التناقض من جهة اللفظ والمعنى معا، أو من جهة المعنى دون اللفظ، وتشكل بنوعيها في تداعي المعاني لدى المتلقي وترسيخها. وتبين أن الزمخشري لا يتقيد بظاهر المحسّن المعنوي في النص القرآني، بل كان ينظر إلى بنية التقابل أنها أداة لإنتاج الدلالة وإبراز المعنى في السياق، فكان يستند إليها ويجعلها أرضية لبيان دلالات الآيات القرآنية، ولا ينظر إليها أنها مجرد تحسينات معنوية. وقد أولى الزمخشري اهتماما للتقابل الدلالي في التراكيب والجمل حيث إن بناءه الأسلوبي يمكّنه من إبراز المعاني الخفية في النصوص القرآنية.

الكلمات المفتاحية: الزمخشري، العلاقات الدلالية، التقابل الدلالي، الألفاظ المفردة، التراكيب.

المقدمة

أنزل الله تعالى القرآن الكريم لهداية البشرية وتنظيم نمط حياتهم، وإن البشرية لتحتاج إلى فهم دلالات نصوصها ومقاصدها للوصول إلى الغايات السامية التي أنزلت لأجلها. وقد بذل العلماء المسلمون قصارى جهدهم في تقريب دلالات النصوص القرآنيّة بشتى الوسائل المعرفية؛ ومن ذلك اعتمادهم على ظواهر لغوية؛ منها الاشتقاق، والترادف، لتقريب تلك المعاني واستخراج دلالات نصوص القرآن.

ومن كتب التفاسير التي اعتنت بالجانب اللغوي في إبراز دلالات النصوص القرآنيّة تفسير الزمخشري المعروف بـ" الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، حيث إنه بنى مذهبه التأويلي على ثلاثة أسس، هي: علم النحو، وعلم البلاغة، وعلم اللغة[1]. ويُعد الزمخشري من العلماء القدامى الذين اعتمدوا على ظواهر لغوية دلالية في تفسير الآيات القرآنية، ومن ذلك اعتماده على ظاهرة التقابل الدلالي في بيان دلالات نصوص القرآن ومقاصدها في تفسيره الكشاف.

يعد التقابل الدلالي واحدا من الظواهر الدلالية التي تشكل بمجموعها ما يعرف بالعلاقات الدلالية[2]، وهي من أبرز العلاقات الدلالية وأكثرها أهمية[3]. وتؤدي الظاهرة أدوارًا جماليّة وفنيّة داخل النصوص، كما أنها تثري المعاني وتقوّيها، وتلعب دورا مهما في تشكيل النص واتساق ألفاظه[4]، ذلك أن من المعاني ما لا يتضح إلا من خلال الإتيان بما يقابله، وهو من الوسائل التي اعتمد عليه القرآن الكريم في إيضاح المعاني وتقريرها.

وقد تناول هذا البحث مجموعة من المسائل المتعلقة بالتقابل الدلالي في تفسير الكشاف، بهدف إبراز أهمية الظاهرة وأثرها في فهم النصوص القرآنية عموما، وبيان مدى اعتماد الزمخشري عليها خصوصا في فهم النصوص القرآنية، وذلك من خلال تحليل نماذج لمظاهر التقابل الدلالي في تفسير الكشاف.

اعتمد هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي والوصفي في تحليل نماذج من التقابل الدلالي الواردة في التفسير ووصفها؛ بقصد الكشف عن أبعادها والتبصر بها، مع بيان موقف اللغويين فيها والعوامل التي تتحكم فيها، بالاعتماد أساسًا على معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت 395 ه)، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ت 502 ه)، كما استعان البحث بنظرية السياق القرآني، وهي "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود"[5]، ذلك أن دراسة المعنى تتطلب إلى معرفة السياقات والمواقف التي ترد فيها الكلمة.

الدراسات السابقة

تبين للباحث بعد الاطلاع على الدراسات السابقة أن هناك دراسات سابقة اهتمت بموضوع التقابل الدلالي في القرآن الكريم عموما، ومنها ما اهتمت بالظواهر اللغوية في الكشاف خصوصا. وأما الأولى فمنها دراسة أشواق محمد إسماعيل النجار وزيار جلال صالح منشورة في مجلة الآداب عام 2016م. وكانت بعنوان علاقات التقابل النصي في آيات النعيم والجحيم في القرآن الكريم، تناولت الدراسة مجموعة من العلاقات التي تعوّل عليها آيات النعيم والجحيم لبيان التقابل بين أهل النعيم وأهل الجحيم. وتوصلت الدراسة إلى أن التقابل النصي يتحقق بوساطة مجموعة من العلاقات كالتضاد، والتعليل، والإجمال والتفصيل.

ومنها دراسة علي محمد علوان وسلوى إدريس بابكر منشورة في مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس عام 2014م. وكانت بعنوان: الظواهر اللغوية الدلالية في تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (دراسة تطبيقية). وهي دراسة تناولت ألفاظ القرآن الكريم في تفسير القرطبي دراسة لغوية دلالية وذلك لجمع آراءه في القضايا اللغوية الدلالية التي تناولها. وقد قام الباحثان بإحصاء الآيات المشتملة على الظواهر اللغوية الدلالية في التفسير وخلصا إلى أن القرطبي تحدث عن كثير من الظواهر اللغوية الدلالية بصورة متنوعة وأن تفسيره مصدر مهم لدراسة اللغة وخاصة ما يتصل بالظواهر اللغوية.

وفي دراسة عماري عز الدين المقدمة لنيل درجة الماجستير في جامعة الحاج لخضر باتنة عام 2010م. بعنوان: أسلوب التقابل في الربع الأخير من القرآن الكريم – دراسة أسلوبية، توصل الباحث إلى أن التقابل تنضوي تحته مجموعة من العلاقات كالتضاد والتماثل والخلاف، كما تحدث عن جمالية التقابل في القرآن الكريم.

---

(1) عبد القادر أنكير، آليات التأويل النحوي ووظائفه لدى جار الله الزمخشري من خلال تفسيره الكشاف، رسالة دكتوراه، جامعة عبد الله، المملكة المغربية (2015).

(2) ومن الظواهر الدلالية على سبيل المثال الترادف والاشتراك اللفظي.

(3) سعيد جبر أبو خضر، التقابلات الدلالية في العربية والإنجليزية تحليل لغوي تقابلي، عالم الكتب الحديث، اربد: الأردن، 2004، ص10.

(4) المصدر نفسه، ص 42

(5) المثنى عبد الفتاح، نظرية السياق القرآني، 2008، ص 15.

وتقدم فايز القرعان بورقة عمل عام 2007م في مؤتمر دولي بعنوان: بنية التقابل وأثرها في توليد دلالة النص القرآني، سورة الليل نموذجا، حيث تناولت دراسته أبنية التقابل الأسلوبية في السورة، وتوصلت إلى أنها تضمنت خمسة أبنية تقابلية، مبيّنا الدلالات التي تنتجها هذه الأبنية.

ولعل أقدم الدراسات التي تناولت التقابل الدلالي دراسة أحمد نصيف الجنابي نشرت في مجلة المستنصرية عام 1984م. وكانت بعنوان: ظاهرة التقابل في علم الدلالة. فقد أورد الفرق بين الطباق البلاغي والتقابل الدلالي، وخلص إلى أن التقابل بأنواعها تؤلف مجموعة من العلاقات الدلالية، مؤكدا أن منها (العلاقات الدلالية) ما هي واضحة الدلالة ومنها ما لا تفهم إلا بعد إعمال الفكر.

وأما الأخرى فمنها كتاب دلدار غفور أمين بعنوان: تفسير الكشاف للزمخشري، دراسة لغوية، حيث تناول الباحث بعض ظواهر لغوية في الكشاف مثل الترادف، والاشتراك اللفظي، والتضاد.

ومنها دراسة سعيد النجفي أسد اللهى وشفيع برهاني منشورة في مجلة التراث الأدبي عام 2009م. كانت بعنوان: مباحث لغوية في تفسير الكشاف. تناولت الدراسة نبذة من مباحث لغوية في الكشاف مع المقارنة بينها وبين ما في بعض التفاسير الأخرى والمصادر اللغوية.

وكتاب آخر لفاضل صالح السامرائي بعنوان: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، تناول فيه المؤلف القضايا النحوية واللغوية في تفسير الكشاف، كما تحدث عن الخصائص اللغوية فيه.

ومنها دراسة سعدون علي الرباكي منشورة في مجلة القادسية للعلوم الإنسانية عام 2009م. وكانت بعنوان: الأثر الدلالي لمعاني القرآن للفراء في الكشاف للزمخشري. استعرض الباحث بعض القضايا اللغوية الدلالية في الكشاف مبينا تأثّر الزمخشري بالفراء فيها، كما سلط الباحث الضوء على أهم الظواهر الدلالية التي ذكرها الفراء مما كان له الأثر في تفسير الكشاف.

يلاحظ أن هذه البحوث وغيرها اهتمت بالجانب التنظيري أو الأسلوبي، دون إبراز المباحث اللغوية كإحدى الآليات الدلالية التي اعتمد عليها الزمخشري في فهمه للنصوص القرآنية واستخراج معانيها، مما يدعو إلى إجراء دراسة تبرز اهتمامه بهذا الجانب في بيان دلالات النصوص القرآنية.

ويسعى هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

ما دور التقابل الدلالي في إظهار دلالات النصوص القرآنية؟

ما مدى استناد الزمخشري إلى التقابل الدلالي في استنباط المعاني في تفسيره الكشاف؟

هذا، وقد ائتلفت هذه الدراسة الموسومة ب " التقابل الدلالي وأثره في فهم النصوص القرآنية عند الزمخشري" من مقدمة ومبحثين وخاتمة. أما المقدمة فذكرت فيها أهمية الدراسة والهدف، والمنهج المتبع وبعض الدراسات السابقة حول الموضوع. أما المبحث الأول فتحدثتُ فيه عن مفهوم التقابل الدلالي، وأهميته في توجيه دلالة النصوص القرآنية، كما تحدثت عن التقابل الدلالي في الدراسات اللغوية، وأسلوب التقابل في القرآن الكريم. وأما المبحث الثاني فجعلته دراسة تطبيقية للتقابل الدلالي في تفسير الزمخشري، وفي الخاتمة، ذكرت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها.

المبحث الأول: دراسة نظرية

مفهوم التقابل الدلالي

التقابل في اللغة المواجهة والمعارضة، جاء في لسان العرب[6]: وقابل الشيء بالشيء مُقابَلة وقِبالًا: عارضه، والمقابلة: المواجهة والتقابل مثله، وبمعنى المواجهة جاء قوله تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ الحجر [47]، أي متواجهين بحيث لا ينظر بعضهم قفا بعض. وأشار ابن فارس (ت 395 ه) إلى أن "القاف والباء واللام أصل واحد صحيح تدلّ كلمه كلّها على مواجهة الشيء للشيء"[7]. وتأتي بمعنى الضم، بحيث إنك "إذا ضممت شيئًا إلى شيء قلت قابَلْتُه به"[8] والملاحظ في جميع هذه الدلالات أن التقابل في اللغة قائم على المواجهة، وأما الضم فيحصل فيه المواجهة كذلك؛ لأن المتقابلين يواجه أحدهما الآخر.

والتقابل في اصطلاح الدلاليين ليس بعيدا عن دلالته في اللغة، فيراد بالتقابل الدلالي "كل كلمتين تحمل إحداهما عكس المعنى الذي تحمله الأخرى، مثل: الخير والشرّ، والنور والظلمة، والحبّ والكراهة، والصغير والكبير، وفوق وتحت، ويأخذ ويعطي، ويضحك

(6) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب. بيروت: دار صادر، 2003، 534/11، مادة (قبل).

(7) أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، مصر: دار الفكر، 1979، ص51/5.

(8) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان، دون تاريخ، مادة (ق ب ل).

ويبكي"[9]. هذا، وإن العلاقة القائمة بين الثنائيات المتقابلة منها ما يكون بالتخالف أو بالتناقض، وليست كلها تضادًا،[10]، فليس كل ما خالف الشيء ضدا له، قال أبو الطيب اللغوي: "فالاختلاف أعمّ من التضاد، إذ كلّ متضادّين مختلفين، وليس كل مختلفين ضدّين"[11]، ففي المتضادين متى وُجد أحدهما انتفى الآخر، كالسواد والبياض، حيث إنهما لا يجتمعان، وليس ذلك في التخالف، فالقوة والجهل مختلفان، وليسا ضدين.

وهذا يعني أن التقابل الدلالي أنواع؛ فهو بالنظر إلى جهة ألفاظه ومعانيه إما تقابل لفظي وإما تقابل معنوي، وبالنظر إلى العلاقات القائمة بين الثنائيات المتقابلة، فهو تقابل بالخلاف، أو بالنقيض، أو بالضد.

أهمية التقابل في توجيه دلالة النصوص القرآنية

والتقابل ظاهرة دلاية مميزة، مثلها مثل العلاقات الدلالية الأخرى، كالترادف والاشتراك اللفظي، في ترابط المعنى وتكوين صور ذهنية لدلالات الألفاظ، ويعدّ من أبرز الأساليب التي استعملها القرآن الكريم في توضيح المعاني وتقويته في أذهان الناس، كما أنه يساعد في توجيه الأقوال وترجيح بعض الآيات القرآنية، ومثال ذلك ما جاء في الآيتين: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَاد فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ الحاقة [5، 6]، حيث اختُلف في دلالة (الطاغية)، وهي الواقعة المجاوزة للحد في الشدة، وقيل: الرجفة، وقيل: الصاعقة، وقيل الطاغية مصدر كالعافية؛ أي بطغيانهم[12]، ومن ناحية أخرى، استند الزمخشري على التقابل الوارد بين (فأهلكوا بالطاغية)، و(فأهلكوا بريح صرصر) لتوضيح دلالة الطاغية، فأشار إلى أن: "الطاغية مصدر كالعافية، أي بطغيانهم، وليس بذاك، لعدم الطباق بينها وبين قوله: بريح صرصر عاتية"[13]، فأسلوب الآيتين يتمثل في التقابل بين الطريقتين في إهلاك قوم عاد وقوم ثمود، فالظاهر أن (الطاغية) ليس المراد بها الطغيان، بل المراد هو الواقعة المجاوزة للحد في الشدة[14].

والمتتبع لآي القرآن الكريم يجد أنه أكثرَ من استعمال التقابل من أجل الكشف عن المعاني وتوضيحها، فلا تخلو منه سورة من سور القرآن، بل هناك سوَر بُني كثير من آياتها على أسلوب التقابل الدلالي، مثل: سورة الواقعة، والشمس، والليل، بل يقول حسنين[15] بأن ما يقرب من 1425 آية قرآنية (أي 28.85%) من مجموع الآيات القرآنية التي تصل عددها 6236 آية من قبيل الثنائيات المتقابلة. بَيد أن كثيرا ممن كتبوا حول الظاهرة نظروا إليها كمحسنة بديعيّة بلاغية دون التفات إلى ما تثيره من معان دلالية، والتي بدورها تؤثر على دلالات نصوص القرآن الكريم، فهي جزء من البِنْية الكلية للنص، وتزيده روعة ووضوحا في المعنى. وأشار العبيدي[16] إلى أن أغلب الظن أن العلماء القدامى لم يهتموا بالدرس والشرح والتحليل والتطبيق للتقابل؛ لأنهم عدوه من المباحث البلاغية التي تنصب اهتمامها في التحسينات اللفظية والمعنوية.

التقابل في الدراسات اللغوية القديمة

كان موضوع التقابل معروفًا لدى العلماء العرب القدامى، وقد سبق لهم استعمال مصطلحات توحي بمعنى التقابل الدلالي في مصنفاتهم البلاغية، منها: الطِّباق (أو المُطَابَقة) والمُقَابَلة، ويسميه بعض المحدثين التقابل الدلالي، إلا أن دور الطباق أو المقابلة عندهم كان منحصرًا في تحسينات معنوية، وكانوا ينظرون إليه من منظور شكلي؛ وهو الدور الذي يحدثه التقابل من الوظيفة التحسينية داخل نص، وكان يطغى على دراستهم الجانب الوصفي، حيث يقومون بإبراز المقابلات البلاغية في إطار تتبعهم للمحسنات البديعية في الجمل، دون أن يتحدثوا عن دور التقابل في إنتاج الدلالة[17]، ومثال ذلك قول النابغة:

---

(9) أحمد نصيف الجنابي، ظاهرةُ التَّقابُل في علمِ الدَّلالة، مجلة آداب المستنصريّة، الجامعة المستنصرية: بغداد. العدد10، 1984 ص15

(10) آلان زنكَنة، العلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 2002، ص 94.

(11) عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي، الأضداد في كلام العرب، تح: عزة حسن، دمشق: دار طلاس، 1996، ص 33.

(12) محمود بن عمر الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه **التأويل**، تح: خليل مأمون شيحا، بيروت: دار المعرفة، 2009، ص 1134

(13) الزمخشري، مرجع سابق، ص 1134.

(14) موسى محمود معطان، أسلوب المقابلة في القرآن الكريم دراسة تطبيقية على سورة الرعد وأثر ذلك في المعنى، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، السنة السادسة، العدد 13، 1438هـ، ص 90.

(15)Hassanein, H. (2012). *The lexical semantics of antonymy in the Qur'an: A linguistic study.* PhD thesis, Göttingen. 2012, p147.

(16) عبد الكريم العبيدي، ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1989، ص 2.

(17) عبد الله صفية، ونور السادات جودي، التقابل وبلاغته في كتابات القدماء والمحدثين، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية: لبنان، العدد11، 2015، ص 108.

فتىً كان فيه ما يسرّ صديقَه ... على أن فيه ما يسوء الأعادِيا[18]

حيث طابق بين (يسرّ صديقَه) في الشطر الأول من البيت و(يسوء الأعاديا) في الشطر الآخر.

وبهذا يكون الفرق بين التقابل البلاغي والتقابل الدلالي أن الأول، من المحسنات البديعية، وأما الثاني، فيُنظر إليه خارج دائرة التحسين؛ لأنه جزء من البِنْية الكلية للنص، ويزيدها روعة ووضوحا في المعنى.

التقابل في الدراسات اللغوية الحديثة

تعد الدراسات الدلالية الحديثة التقابل الدلالي ظاهرة دلالية مستقلة، ويتم تحليله على ضوء العلاقات القائمة بين الثنائيات، مثل: علاقة التضاد والتخالف. هذا، وتُعَدُّ دراسة جُون لَايُنز من أهم الدراسات التي تناولت موضوع العلاقات الدلالية عامة، ومنها: علاقة التقابل الدلالي (أو التخالف كما سماه مترجم كتاب لَايُنز)، وأشار إلى أن التقابل الدلالي من أكثر العلاقات الدلالية أهمية.

ويُعدّ أحمد الجنابي، أول من بحث الظاهرة في الدراسات العربية الحديثة، بعيدًا عن التحسينات اللفظية والمعنوية، إذ أشار في مقالته المنشورة في مجلة آداب المستنصرية عام 1984م أن مصطلح التقابل الدلالي من وضعه، وأنه لم يجد له ذكرا في أي كتاب من الكتب الدلالية قبله، مع اعترافه بالاسترشاد بكتب البلاغة، لاستقرار رأيه على المصطلح[19].

وقد توسع مجال الدراسات العربية للظاهرة على يد الجنابي، ليشمل التقابل في التراكيب والأساليب، إلى جانب التقابل في الألفاظ المفردة، إذ درس التقابل في الجملة والتقابل في الصورة في مقاله "ظاهرة التقابل في سورة الزمر"، وتبعه غيره من أمثال منار الصفار في كتابها "التقابل الدلالي في القرآن الكريم"، حيث قدمت رؤية واضحة لأهم قضايا التقابل الدلالي في العربية.

والملاحظ أن بالإضافة إلى تصنيف التقابل الدلالي بالنظر إلى خصائصه المنطقية (logical properties): وهي التخالف، والتعاكس، والتبادل، فإن الدراسات المعاصرة تقوم بتصنيفها من وجهة وظيفتها الخطابية داخل النص (discourse function of antonymy)[20]، ومن ذلك دراسة حمادة حسنين بعنوان: " الدلالات المعجمية للتقابل الدلالي في القرآن الكريم: دراسة لغوية "[21]، ودراسة رقية الهدياني بعنوان " التقابل الدلالي في اللغة العربية الفصحى "[22]. أشار حمادة حسنين إلى أن أكثر بُنى التقابلات الدلالية شيوعا في القرآن الكريم نوعان:

الأول: تقابل العطف (Coordinated antonymy)، وهو البناء التقابلي القائم على علاقة المعطوف بالمعطوف عليه، مثل: (الجنة والنار)، و (الليل والنهار). وهذا النوع من التقابل يتألف من متقابلين تتوسط بينهما أداة العطف (و)، ومثاله قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَة لَّا فَارِض وَلَا بِكْرٌ عَوَانُۢ بَيْنَ ذَٰلِكَۖ﴾ [البقرة: ٦٨]، حيث ورد التقابل بين اللفظتين (فارض، بكر) وعُطف بينهما بالواو، مع الاعتبار أن العلاقة بين المقابلين (فارض، بكر) علاقة التضاد[23].

والآخر: التقابل المساعد (Ancillary antonymy)، وهو أن يتشكل بناء التقابل من تقابلين، بحيث يكون الطرف الأول من التقابل مَدخلًا أو مساعدًا للتقابل الثاني، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِير وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُۘ﴾ [آل عمران: ١٨١]، فإن التقابل المساعد هنا قائم بين الثنائية (فقير، أغنياء). حيث ورد في الآية بوصفه مدخلًا للتقابل الثاني، وهو القائم بين (الله، نحن)، وهو أكثر أهمية من التقابل الأول.

أسلوب التقابل في القرآن الكريم

تنقسم التقابل في النصوص القرآنية إلى ثلاثة أنماط رئيسة تعتمد على العلاقات الدلالية، وهي: النمط البسيط، والنمط المركب، والنمط المعقد[24]، ويفرق بين هذه الأنماط بالنظر إلى البنية الأسلوبية التي ورد فيها التقابل؛ سواء كان ذلك على مستوى المفردات المتضادة أو المتخالفة أو المتناقضة، أو على مستوى التراكيب والأساليب. وأما النمط البسيط فيكون التقابل فيه بين لفظتين، ومثال ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أيقاظا وَهُمْ رُقُود﴾ [الكهف: ١٨]، حيث وردت علاقة التضاد لفظًا ومعنى بين المتقابلين (أيقاظا) و (رقود)، بينما يكون التقابل في النمط المركب بين لفظ وتركيب، أو بين تركيبين، كما قال تعالى: ﴿وُجُوه يَوْمَئِذ مُّسْفِرَة ضَاحِكَة مُّسْتَبْشِرَة وَوُجُوه يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَة تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌۚ﴾ [عبس:٣٨ -٤١]، فهنا وقع تقابل التضاد بين تركيبين؛ الأول منهما يمثله المؤمنون في

(18) البيت من الطويل، ينظر: ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم عباس عبد الستار، ص 70.

(19) الجنابي، مرجع سابق، ص 1.

(20) Murphy, M. Lyne, et al. (2009).

(21) Hassanein, H. (2012).

(22) AlHedayani, R (2016).

(23) Hamada S. A. Hassanein (2017)

(24) فايز عارف القرعان، التقابل والتماثل في القرآن، دراسة أسلوبية، الأردن: عالم الكتب الحديث، 2006، ص 93.

قوله: ﴿وُجُوه يَوْمَئِذ مُّسْفِرَة﴾ والآخر يمثله الكافرون في قوله: ﴿وَوُجُوه يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَة﴾. وأما النمط المعقد فيحدث عندما يتداخل عدد من التقابلات من النمطين السابقين في تقابل واحد، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيَ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُور﴾ [الحج: ٦٦]، وقد ورد تقابل التضاد اللفظي بين (أَحْيَاكُمْ) و (يُمِيتُكُمْ)، وبين (يُمِيتُكُمْ) و (يُحْيِيكُمْ).

يخلص هذا القول إلى أن التقابل الدلالي يقع في الألفاظ والتراكيب، وأن العلاقة القائمة بين الثنائيات المتقابلة علاقة تضاد أو تناقض أو تخالف. ونظرا لطبيعة المدوّنة التفسيرية –وهي تفسير الكشاف- التي تشكل مجال تطبيق الظاهرة في هذه الدراسة، سأعتمد في الدراسة التحليلية على هذه التقسيمات، كما سأستفيد بالخصائص المنطقية التي تكمن بين البُنى الثنائية المتقابلة من التضاد وغيره.

المبحث الثاني: دراسة نماذج من التقابل الدلالي في الكشاف

يقع التقابل في صور مختلفة، فيقع في الألفاظ المفردة وفي التراكيب. وفي هذا المبحث، أتناول بالتحليل هذه البُنى الأسلوبية للتقابل الدلالي بالنظر إلى اعتماد الزمخشري عليها في توضيح المعاني وتعزيزها.

التقابل الدلالي في الألفاظ المفردة

ويراد به التقابل الذي يقع بين مفردتين من الألفاظ، على أن العلاقة بين المقابلين قد تكون علاقة التضاد أو علاقة الاختلاف في اللفظ والمعنى[25]، وأما الألفاظ المتقابلة، فإنها قد تأتي متجانسة وقد تكون غير متجانسة؛ ويقصد بالتجانس دلالة اللفظتين المتقابلتين على معنى التقابل دلالة صريحة، ويسمى أيضًا التقابل اللفظي، ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرا﴾ [التوبة: ٨٢] حيث قوبل بين (الضحك والبكاء)، وبين (القليل والكثير) في اللفظ والمعنى مقابلة صريحة. وأما إذا دلت إحداهما على معنى معيّن دلالة صريحة، ودلت الأخرى دلالة تلميحية على المعنى المتقابل فإنه يُعدّ ذلك غير متجانسة؛ لأن التقابل وارد في المعنى دون اللفظ، ويسميه بعض الباحثين التقابل المعنوي[26]، ومما جاء في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰة﴾ [البقرة: ١٧٩]، حيث ورد التقابل بين القصاص والحياة، وإن كان لفظ (القصاص) لا يتضاد مع (الحياة) صريحة، بيْد أن من دلالات (القصاص) الموت، فلذلك جاز التقابل بينهما. وفيما يأتي نماذج للتقابل الدلالي في الألفاظ المفردة في تفسير (الكشاف).

1- سِمان وعِجاف

من التقابل الدلالي على مستوى اللفظ والمعنى ما يُلحظ بين لفظتي (سمان) و (عجاف)، ولفظ (سمان) صفة مشبهة على وزن (فِعال)، وهو جمع، ومفرده (سمين) للذكر (وسمينة) للأنثى. قال ابن فارس: " السين والميم والنون أصل يدل على خلاف الضُّمْر والهُزال، من ذلك السِّمَن، يقال هو سمين. والسَّمْن من هذا"[27]، وأشار ابن فارس إلى أن من دلالته في لغة أهل اليمن (البَرْد)، يقولون: سمّنتُ الشيء إذا برّدتَه[28]. وجاء في لسان العرب " السِّمَن نقيض الهُزال والسَّمِينُ خلاف المَهْزول "[29] .

ولفظ (عجاف) جمع، وهو صفة مشبهة، مفرده (أعجف) للذكر و (عجفاء) للأنثى. ويحمل اللفظ دلالتين، وهما الهُزال والصبر، قال ابن فارس: " العين والجيم والفاء أصلان صحيحان؛ أحدهما يدلّ على هُزال، والآخَر على حَبْس النفس وصَبْرِها على الشّيء أو عنه"[30]، والدلالة التي تخص هذه الدراسة هي دلالة (عجاف) على (الهزال)، إذ هو نقيض (سمان) على ما يظهر عند المعجميين.

وفي القرآن الكريم وردت لفظتا (سمان) و (عجاف) متقابلة في موضعين من سورة يوسف، وذلك في رؤيا ملك مصر في أنّ سبع بقرات عجاف ابتلعت السمان، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيَ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرٰت سِمَان يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَاف﴾ [يوسف: ٤٣]، فقد أشار الزمخشري إلى أن لفظة (سمان) نقيض (عجاف)، ذلك أن "دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض"[31]. ومجيء (عجاف) جمعًا لـ (أعجف عجفاء) على غير الأصل؛ لأن القياس فيه (عُجُف) كأخضر خضراء وخُضُر، إلا أنه ساغ مجيئه على (عِجاف) لأجل المزاوجة بينه وبين لفظة (سِمان)، وقد قرر ذلك الزمخشري، فأشار إلى أن " السبب في وقوع عِجاف جمعا لعَجفاء، وأفعل فعلاء لا يجمعان على فعال، حمله على (سمان) لأنه نقيضه"[32]. ويشير كلام الزمخشري هذا إلى أن التقابل بالنقيض سوّغ مجيء صيغة أفعل فعلاء على فِعال لأجل تحقيق الانسجام والتماسك البنائي بين الثنائية: سمان وعجاف.

---

(25) تغريد فلحي، التقابل الدلالي في نهج البلاغة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الكوفة، 2007، ص29.

(26) تغريد فلحي، مرجع سابق، ص66.

(27) ابن فارس، مرجع سابق، 97/3.

(28) المرجع نفسه، والصفحة نفسها

(29) ابن منظور، مرجع سابق، 218/13. مادة سمن.

(30) ابن فارس، مرجع سابق، 236/4.

(31) الزمخشري، مرجع سابق، ص 517.

(32) المرجع نفسه، ص 517.

مما يُلحظ في الآية السابقة أن التقابل قائم بين (سمان) و(عجاف) في اللفظ والمعنى، والعلاقة بينهما علاقة التناقض، على أن مستوى البناء الأسلوبي للتقابل في الآية يتمثل في كونه (أي التقابل) مدخلًا للسياق، بمعنى أن التقابل هو المدخل والسياق هو المنتهى، على حد تعبير عماري عز الدين [33]، ومثال آخر على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ ﴾ [الأحقاف: ١١] حيث قوبل بين (كفروا) و (آمنوا)، وكان ذلك بمنزلة مدخل للسياق ﴿ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ ﴾

ويظهر من خلال هذا البناء الأسلوبي فعالية التقابل لإبراز المعنى، فضلًا عن قدرته في الكشف عن المعنى والتأثير في النفوس، فقد كان ابتلاع سبع بقرات سبع بقرات سمان موح لأزمة مقبلة، وكانت البقرات السمان إشارة إلى سنين مخاصيب، بينما كانت العجاف سنين مجدبة، واستُعمل التقابل للتعبير عن هذه المعاني بإيجاز دقيق.

2- اشمئزاز واستبشار

من التقابل اللفظي ما يلحظ بين لفظتي (اشمئزاز) و (استبشار)، وهما: من الألفاظ التي تُعبَّر بها عن حالات نفسية تنتاب الإنسان. فأصل (اشمئزاز) من مادة (شَمَز)، وهو تقبّض، ويدل على كراهة الشيء أيضًا، جاء في لسان العرب: " اشمَأَزَّ اشمِئْزازًا انقبض واجتمع بعضه إلى بعض ... والشَّمْز نفور النفس من الشيء تكرهه "[34].

وأما (استبشار) فأصل مادته من (بَشَرَ)، ويدل على الفرح والسرور، ومنه قولهم: بَشِرْتُ به؛ أَي سُرِرْتُ به[35]، يقول ابن منظور: " يقال بَشَرْتُه فَأَبْشَرَ واسْتَبْشَر وتَبشَّرَ وبَشِرَ فَرِحَ ... واسْتَبْشَرَه كَبَشَّرَهُ"، فصيغة (استفعال) هنا لا يقصد بها الطلب.

وردت لفظتا (اشمئزاز) و (استبشار) متقابلتين في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ [الزمر:]٤٥، حيث قابل القرآن الكريم بينهما تقابل التخالف، لا تقابل التضاد؛ لأن الاشمئزاز يقصد به شدة الكراهية والنفور[36]، فلا يتضاد مع الاستبشار الذي يدل على شدة الفرح حتى يظهر أثر ذلك على بَشَرة الوجه[37]، وإنما الكراهة يضاده الحب، وأما الفرح فيضاده اليأس، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ ﴾ [الحديد: ٢٣]، فقوبل بين (اليأس) و (الفرح) تقابل التضاد اللفظي.

وأشار الزمخشري إلى التقابل بين (الاشمئزاز) و (الاستبشار)، حيث قال ما نصه: "ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز، إذ كل واحد منهما غاية في بابه"[38]. وقال أبو حيان: "والاشمئزاز والاستبشار متقابلان غاية، لأن الاشمئزاز: امتلاء القلب غمًّا وغيظا والاستبشار: امتلاؤه سرورًا "[39]، فقد قام التقابل بين اللفظتين والعلاقة بينهما علاقة التخالف، لأنهما تدلان على الغاية في مسماهما، فالاشمئزاز غاية الكراهية والاستبشار غاية الفرح. ويظهر أنه تم استخدام الصيغة المضارعة في (يستبشرون) مقابل الماضية في (اشمأزت) " لإفادة تجدّد استبشارهم "[40].

ولم يكن همّ الزمخشري مجرّد الإشارة إلى الجمال الأسلوبي الذي يمثله هذا التقابل، بل كان محل اهتمامه الإشادة بما يحمله المقابلان من تداعي المعاني، ولذلك جاء التقابل بهما على أحسن وجه وبصورة أوضح، مشيرًا إلى أن كل واحد من طرفي التقابل غاية في بابه.

3- الظُلمة والنور

من التقابل الدلالي ما ورد بين لفظتي (الظلمة) و (النور) في عدة أماكن من القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧].

والظلمة خلاف الضياء والنور[41]، وفي لسان العرب: " والظُّلْمَة والظُّلَمَة بضم اللام ذهاب النور، وهي خلاف النور"[42]، وتُجمع الظلمة على ظُلَم وظُلُمات وظُلَمات وظُلْمات[43]، والقراءة المشهورة في (ظلمات) هو ضم اللام[44].

(33) عماري عز الدين، المرجع السابق، ص 65.

(34) محمد بن مكرم بن منظور، المرجع السابق، 362/5، مادة (شمز).

(35) المرجع نفسه، مادة شمز.

(36) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، 1997، 30/24.

(37) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(38) الزمخشري، مرجع سابق، 2009، ص 942.

(39) محمد بن يوسف أبو حيان، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وغيره، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001، 414/7

(40) ابن عاشور، مرجع سابق، 30/24.

(41) ابن فارس، مرجع سابق، 468/3.

(42) ابن منظور، مرجع سابق، 373/12، مادة (ظلم).

(43) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(44) أبو حيان، مرجع سابق، 215/1.

وللظلمات دلالات أخرى في القرآن الكريم، مثل: الشرك والنفاق، فال الله تعالى: ﴿وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦۗ﴾ [المائدة: ١٦]، وجاء بمعنى (الأهوال) في قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [النمل: ٦٣] أي أهوالها.

أما لفظ (النور)، فيدل على الضياء، وهو نقيض الظلمة، ويجمع على أنوار ونيران[45]. وقد وردت دلالات أخرى للفظة (النور) في القرآن الكريم، فهي قد تدل على (الإيمان)، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦۗ﴾ [المائدة: 16]، وبمعنى (القرآن) في قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾ [التغابن: ٨]، لكن الدلالة التي تخص موضوع البحث هي دلالتها على الضياء.

ولم ترد لفظة (النور) في القرآن إلا مفردًا، كما أنه لم ترد (الظلمات) إلا جمعًا في جميع الأماكن التي قوبلت بـ (النور)، وقد ردّ ابن عاشور سبب ذلك إلى اتباع الاستعمال، ذلك أن اللفظتين "هما معًا دالاّن على الجنس، والتعريف الجنسي يستوي فيه المفرد والجمع"[46]، ويرى غيره أن الظلمات بمفهومها المعنوي تعددت، وتنضوي تحتها مجموعة من الدلالات، منها: الضلال والكفر والباطل وغيرها فجمعت لذلك.

وذكر الزمخشري في تفسيره للآية ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ﴾ أنّ "النار جوهر لطيف مضيء حار محرق، والنور ضوؤها وضوء كل نَيِّر، وهو نقيض الظلمة"[47]، إذًا التقابل قائم بين (النور) و (الظلمات)؛ لأن الظلمة عبارة عن عدم النور، على أن العلاقة بينهما علاقة تناقض؛ لأن (النور) و (الظلمة) متناقضان، لا يجتمعان في مكان واحد.

ففي هذا التقابل توكيد للحالة التي صار فيها المنافقون بعد انطفاء النور الذي استوقدوها، إذ إن ذهاب نورهم تقرير لبقائهم في الظلمة، ومع ذلك أورد القرآن الكريم حالتهم وقال تعالى: **(وتركهم في ظلمات لا يبصرون)**؛ لأن "للدلالة الصريحة من الارتسام في ذهن السامع ما ليس للدلالة الضمنية "[48].

4- التقوى وشَفا الجُرُف

من التقابل اللفظي من جهة المجاز ما يلحظ بين (التقوى) و (شفا الجرف) في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ﴾ [التوبة: ١٠٩].

وأما أصل لفظة (التقوى) فمن (الوقاية)، وتدل في اللغة على جعل النفس في صيانة مما يُخاف، ووقَيت الشيءَ أقِيه، إذا صنتَه وسترتَه عن الأذى[49]. وفي لسان الشرع يقصد بها حفظ النفس عما يؤثم بترك المحظور وبعض المباحات[50].

أما (شفا الجرف) فهو مركب إضافي مكونٌ من لفظتين: (شفا) و (الجرف)، وتحمل لفظة (شفا) دلالتين في اللغة؛ الأولى الشفا من الشيء حده وشفيره، والأخرى الشفا من الشيء القليل منه[51]، فالدلالة الأولى هي التي تخص موضوع البحث. وتدل لفظة (الجرف) على ما ذهب به السَّيل من الأرض، وجاء في لسان العرب: " الجُرُف ما أَكل السيلُ من أسفل شِقّ الوادي والنهر "[52]، ويجمع على أجراف وجروف، وجرف الوادي جانبه الذي تجرفه السيول.

وردت العبارتان (التقوى وشفا الجرف) في الآية السابقة متقابلتين دلاليًا، وقد استعمل (شفا الجرف) مجازيًا للدلالة على (الباطل) التي تقابل لفظة (التقوى)، وفي ذلك يقول الزمخشري: "وُضع شفا الجرف في مقابلة التقوى؛ لأنه جُعل مجازًا عما ينافي التقوى"[53]. والظاهر أن (التقوى) مضاد معنى لـ (شفار الجرف)، إذ هو بمعنى الباطل باعتبار المعنى المجازي المراد منها، وهذا التقابل واقع من جهة المجاز وليس من جهة الحقيقة.

وفي هذا التقابل توضيح للمعنى وترسيخه، فضلًا عما يحويه من الجمال التعبيري، حيث شبه التقوى بأساس ثابت، وشبه الباطل بأساس منهار غير ثابت، وأقيم تقابل الضد بينهما حتى تبدو المفارقة بين التقوى والباطل واضحة ومثيرة، على أن البنيان الأول استفاد منه بانيه بخلاف البنيان الثاني الذي انهار بصاحبه إلى جهنم، قال الزمخشري: "ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدلّ على حقيقة الباطل وكنه أمره"[54].

---

(45) بن منظور، مرجع سابق، 240/5، مادة (نور).

(46) ابن عاشور، مرجع سابق 128/7.

(47) محمود بن عمر الزمخشري، المرجع السابق، 2009، ص 51.

(48) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق 310/1.

(49) محمد بن مكرم بن منظور، المرجع السابق، 401/15، مادة (وقي).

(50) الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (د.ت.) ص 881.

(51) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، القاهرة: مجمع اللغة العربية، 2004، ص 488.

(52) ابن منظور، مرجع سابق، 25/9، مادة (جرف).

(53) الزمخشري، مرجع سابق، 2009، ص 450.

(54) الزمخشري، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

5- الإكرام والإهانة

من التقابل الدلالي ما يلحظ بين لفظتي (الإكرام) و (الإهانة). فأصل (الإكرام) من مادة (كَرَم) وتدل في اللغة على شَرَف، و(الإكرام) و (التكريم) بمعنى واحد. وفي لسان العرب: " أَكْرَم الرجل وكَرَّمه أَعْظمه ونزَّهه "[55]، فإذا أكرمت أحدًا معنى ذلك عظّمته وأحسنت إليه ولم تبخل.

وأما لفظة (الإهانة) فمن مادة (هَوَن)، والهُون والهَوان الخزي ونقيض العزّ، وقال ابن منظور: " وأَهانه وهَوَّنه واسْتَهانَ به وتَهاوَنَ بِهِ استخفَّ به ... الإِهانة الاستخفافِ بالشيء والاستحقار "[56]، إذًا إن لفظة (الإكرام) تضادها (الإهانة)؛ لأن الأولى تدل على (التعظيم) والأخرى تدل على (الاستخفاف).

وقد وردت اللفظتان متقابلتين في قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٥ - ١٦]، حيث أشار الزمخشري إلى ورود التقابل بين **(فأما الإنسان إذا مَا ابتلاه ربه) و (وأما إذا ما ابتلاه)**، فلذلك حَقَّ التقابل بينهما. وقد أشار ابن عاشور إلى ذلك أيضا فذكر أن حرف (أما)، يستعمل للدلالة على تقابل بين شيئين من ذوات وأحوال[57]. ونوع التقابل الوارد بين (أكرمنِ) و (أهانن) تقابل لفظي، والعلاقة القائمة بينهما علاقة التضاد لفظًا ومعنى.

والتوازن الوارد بين الحالتين في الآية لا شك أنه يساعد على تداعي المعنى واستحضاره في ذهن المتلقي، ذلك أن أسلوب التقابل أوقع بيانًا في توضيح المفاهيم. والمتأمّل لتفسير الزمخشري للآية يجد أنه ألقى النظر على فاعلية بنية التقابل في الآية وأهميتها في أداء المعنى، يقول: " البسط إكرام من الله لعبده بإنعامه عليه متفضلًا من غير سابقة، وأما التقديرُ فليس بإهانة له؛ لأنّ الإخلال بالتفضل لا يكون إهانة "[58]، فالقرآن الكريم إذا استعمل هذا التوازن بين أحوال الناس في حالة الابتلاء بالنعمة وفي حالة تقدير رزق لبيان أن حالة الناس من الخير أو الشر ليس دليلًا على منزلتهم عند الله.

التقابل الدلالي بين التراكيب

يقصد بالتقابل الدلالي بين التراكيب التقابل الوارد في المعنى دون اللفظ؛ وهو الذي يقع بين اللفظ والجملة، أو بين جملة وجملة أخرى. وتنضوي تحت هذا النوع من التقابل مجموعة من العلاقات، منها: علاقة التضاد المعنوي وعلاقة التخالف. وللتقابل بين التراكيب فاعلية واسعة على إبراز المعاني من خلال مكوناته الدلالية ومضمونه التركيبية[59]، وهو كثير الورود في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى:

1- ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ [النمل: ٨٦]

جاء في لسان العرب أن (الليل) عقيب النهار، ويبدأ من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، والليل ضد النهار. وأما (النهار)، فيقصد به ضِياء ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، والنهار ضد الليل.

ولفظة (يسكن) مضارع، من مادة (سكن)، والسكون ضد الحركة، وكل ما هدأ فقد سكن. وأما لفظة (مبصر)، فمن مادة (بصر) وهو اسم فاعل (أبصر)، وأشار ابن فارس إلى أن أصل معناها يدل على وضوح الشيء. والفعل بصُر يبصُر، والبَصارة مصدر كالبَصر، وهو حاسة الرؤية، ومعنى مبصرًا مضيئًا وواضحًا ومعينًا على الحركة[60].

يتبيّن من هذه الآية تقابل بين قوله تعالى: **(جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ)** من جهة، وبين **(وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا)** من جهة أخرى، إذ إن **(مُبْصِرًا)** بمعنى ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب، وذلك مرادف للحركة. ويشير الزمخشري إلى تقابل التضاد الوارد في الآية فيقول: " فإن قلت: ما للتقابل لم يراع في قوله: **(لِيَسْكُنُوا)** و **(مُبْصِرًا)**، حيث كان أحدهما علة، والآخر حالًا؟ قلت: هو مراعٍ من حيث المعنى ...؛ لأن معنى مبصرًا: ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب"[61].

(55) ابن منظور، مرجع سابق، 510/12، مادة (كرم).

(56) المرجع نفسه، 438/13، مادة (هون).

(57) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق 328/30.

(58) محمود بن عمر الزمخشري، المرجع السابق، ص 1201.

(59) محمد عسكري وآخرون، دراسة تناسب السياق في التقابلات الدلالية في الجزء الثلاثين من القرآن الكريم.

(60) محمد بن مكرم، مرجع سابق، أبو الحسين أحمد بن فارس، المرجع السابق، مادة (سكن)، و(بصر)

(61) الزمخشري، مرجع سابق، ص 791.

وفي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ [غافر:٦١]، يتحدث الزمخشري عن تقابل التضاد المعنوي فيقول: "فإن قلت: لم قرن الليل بالمفعول له، والنهار بالحال؟ وهلا كانا حالين أو مفعولًا لهما فيراعى حق المقابلة؟ قلت: هما متقابلان من حيث المعنى؛ لأن كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر"[62].

إن العلاقة القائمة بين المفعول له (**لِيَسْكُنُوا**) والحال (**مُبْصِرًا**) علاقة تضاد من جهة المعنى، فلو كان التقابل لفظيًّا لقيل (والنهار ليبصروا فيه)، وَلَفَاتَتِ الدلالة المقصودة، وهي ما تفيده صيغة (مبصرًا) من المبالغة، حيث جعل الإبصار الذي هو حال الناس حالًا لليل ووصفًا من أوصافه التي جعل عليها بحيث لا ينفك عنها [63].وقد استعرض هذا التقابل منظرًا من مناظر الطبيعة؛ لينشط به العقل في تداعي المعنى، ذلك أن المستمع للمقابل الأول: **(جعل الليل ليسكنوا فيه)** قد يحاول استجلاب الذهن إلى ضد هذا المعنى، فيأتي المقابل الآخر **(والنهار مبصرًا)** ليتحقق ما ينتظره، فذِكْر الشيء يستحضر ضده، إذ إن الأشياء تتميز بضدها.

ويضاف إلى ذلك أن المتأمل لدلالات هاتين الآيتين يدرك أن هناك أبعادًا أخرى في هذا التقابل، أراد القرآن الكريم تثبيتها في ذهن المتلقي، وهو أن لهذا الكون نظامًا خاصًا " لو اختل منها أدنى اختلال ما كانت الحياة في صورتها هذه التي نعرفها "[64].

2- ﴿قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ﴾ [سبأ: ٥٠]

ومن تقابل الجملة ما يُلحظ بين التعبيرين: (**فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي**) و (**فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي**). والضلال والضلالة بمعنى، وهو ضد الهدى والرشاد، يقال: ضلَلت تضِلُّ أو ضلِلت تضَلّ لغتان، والأولى (ضلَلت) هي الفصيحة، ويدل أصل كلمة (الضلال) على ضياع الشيء وذهابه. وأما الهدى فهو ضد الضلال، وهو الرشاد. ويدل أصل الكلمة على التقدم للإرشاد، منه قولهم: هدَيتُه الطريق هِداية، أي تقدّمتُه لأرشده[65].

ويظهر أن علاقة التقابل الدلالي الواقع بين التركيبين هي علاقة التضاد من جهة المعنى، ذلك أن الطرف الثاني من المتقابلين لا يقابل الطرف الأول مباشرة، بل عن طريق معناه، فلو كان التقابل من جهة اللفظ، لقيل: وإن اهتديت فإنما اهتدى لها[66] حتى يحصل التوازن المباشر بين الطرفين، كما جاء في آيات أخرى، مثل قوله تعالى: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ﴾ [فصلت: ٤٦]

يقول الزمخشري: " فإن قلت: أين التقابل بين قوله: **(فإنما أضل على نفسي)** وقوله: **(فبما يوحي إلى ربّي)** ... قلت: هما متقابلان من جهة المعنى؛ لأنّ النفس كلّ ما عليها فهو بها، أعني أن كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها؛ لأنّها الأمّارة بالسوء، وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه"[67].

تجدر الإشارة إلى أن الوحي مرادف للهداية ولازم لها، كما جاء في قصة أم موسى في قوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ﴾ [القصص: ٧]، أي وحْي إلهام لا وحْي نبوة، فهذا ما يفعله الله تعالى في هداية البشر بما يلقيه في رُوع الإنسان من الإلهام والتوفيق. فلفظة (الوحي) إذًا تدلّ على معنى (الهداية) دلالة تلميحيّة، فلذلك جاز استعمال (**فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي**)؛ لأنه لازم الهداية[68]. وقد ظهر التقابل في الآية في تناسب دقيق، وذلك لما تحملها من القيمة الفنية البنائية بإسناد الضلال إلى البشر والهداية إلى الرب.

3- ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ. وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٥ - ٦]

الشمس والقمر جِرْمان سماويان، وأصل لفظة (الشمس) يدل عل تلوّن وعدم استقرار، ومنه قولهم: رجل شموس، إذا كان لا يستقرّ على خُلُق. والشمس: النجم الرئيس الذي تدور حوله الأرض، وكل الكواكب الشمسية[69]. أما (القمر) فذكر ابن فارس أن أصله يدلّ على بياض في شيء، وهو جِرْم سماوي صغير يدور حول كوكب أكبر منه ويكون تابعا له، ومنه القمر التابع للأرض[70].

والشجَر لفظ مجموع ومفرده الشجَرة، ويجمع على الأشْجار والشَّجَرات. والشجر معروف، قال ابن فارس: " والشجر كل نبت له ساق". أما (النجم) فلفظ مفرد، ويجمع على النجوم. وأصل مادته (نجم) تدل على الظهور والطلوع، من قولهم نجم الشيء ينجُم نجوما[71].

(62) المرجع السابق، ص 960.

(63) شهاب الدين الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 239/10.

(64) سيد قطب، في ظلال القرآن، ط23، القاهرة: دار الشروق، 2003، ص 3093.

(65) محمد بن مكرم، مرجع سابق، وأبو الحسين أحمد بن فارس، المرجع السابق، مادة (ضلل) و (هدي).

(66) الزمخشري، مرجع سابق، ص 878.

(67) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(68) الألوسي، مرجع سابق، 329/11.

(69) إبراهيم مصطفى وآخرون، مرجع سابق، ص494.

(70) ابن فارس، مرجع سابق، مادة (شمس، قمر).

(71) المرجع نفسه، مادة (نجم، شجر).

ولفظة النجم من المشترك اللفظي، ويطلق على الكوكب في السماء وعلى كل ما نبت على الأرض من غير ساق كالبقول، وتدل القرينة السياقية على أن المقصود في الآية السابقة هو النبت؛ لأنه ذُكر مع الشجر وهما عنصران أرضيّان في مقابل الشمس والقمر وهما سماويّان.

وقد سِيق التقابل في الآيتين السابقتين بين السماويَّين (**الشمس والقمر**) والأرضيَّين (**النجم والشجر**) لبيان قدرة الله على خلقه في تسيير أمورهم. فالشمس والقمر يجريان في منازلهما بحساب مقدر معلوم لا يتغير، والنجم والشجر يسجدان سجود انقياد فيما خُلقا له، وقد تكوّنت كل من الآيتين من جملة اسمية مركبة من المبتدأ والخبر. ويلحظ أن القرآن قابَل بين الجملتين تقابل التضاد المعنوي، ذلك أن الشمس والقمر من عناصر الطبيعة السماوية، وهما بعيدان من الإنسان، وأما النجم والشجر فتابعان لعناصر الطبيعة الأرضية وهما قريبان من الإنسان.

وقد بين الزمخشري أن التقابل الدلالي قائم بين الجملتين التي توسط بينهما العاطف فقال: "إنّ الشمس والقمر سماويان، والنجم والشجر أرضيان، فبين المتقابلين تناسب من حيث التقابل". وكذلك أوضح الرازي أن الله تعالى ذكر نعمتين ظاهرتين (**الشمس والقمر**)، وهما أظهر أنواع النعم السماوية، ثم بين في مقابلتهما نعمتين ظاهرتين من الأرض (**النجم والشجر**)، وهما النبات القائم على ساق كالحنطة والشعير والذي لا ساق له كالبقول والحشيش[72]. فالعلاقة القائمة بين الجملتين هي من جهة المعنى، ذلك أن الجملتين دالتان على ظاهرتين متعاكسين، فـ (**الشمس والقمر**) مرادفان لظاهرة علوية، بينما ترادف (**النجم والشجر**) ظاهرة سفلية.

تشكل بِنْية التقابل في هذا المثال من تقابلين وسياقين توسط بينهما أداة العطف (الواو)، بحيث جاء المقابل الأول (**الشمس والقمر**) متبوعًا بالسياق الأول (**بحسبان**)، ثم جاء المقابل الثاني (**والنجم والشجر**) متبوعًا بالسياق الثاني (**يسجدان**). ولا يخفى ما يحمله هذا البناء التقابلي من الجمال والقيمة الفنية التي تظهر في تعداد نعم الله على البشر وبيان عظيم قدرته عليهم. ومع أن البناء جمَع بين دلالتين متعاكستين، لكن تشعر بالتناسب التام والتناسق بين طرفي التقابل مما زاده قوة ووضوحًا في أداء المعنى، وذلك لما يحوي من حسن "انتقال من الامتنان بما في السماء من المنافع إلى الامتنان بما في الأرض "[73].

4- ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ﴾ [الأعراف: ٥٨]

(**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ**) يقصد به الأرض الكريمة التربة، وأما (**وَالَّذِي خَبُثَ**) فوصف للبلد، أي والبلد الخبيث، ليحصل التوازن بين المبتدأين، والبلد الخبيث ضد الطيب، وهو الأرض السبخة التي يقل نفعها وثمرتها. و(**نَكِدًا**) من نكِد يَنْكَد نكَدا فهو نكِد، و(النَّكَد) الشؤْمُ واللؤْمُ، وكل شيء جرّ على صاحبه شراً فهو نَكَدٌ، ونَكِد الرجلُ نَكَدًا قَلَّلَ العَطاء أو لم يُعْط البَتَّة[74].

ومن تقابل الجملة ما ورد في الآية السابقة بين المتقابلين (**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ**) و (**وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلا نَكِدًا**). وتتكون كل من الجملتين من ركنين أساسيين، وهما: المسند والمسند إليه، حيث سيق التقابل بين الأرض العَذاة وما تنبت من النبات الحسن، والأرض الرديئة المعدومة القيمة في الزراعة لا تنبت ما ينتفع به الناس.

أشار ابن عاشور إلى أن (**وَالَّذِي خَبُثَ**) حمَله جميع المفسرين على وصف للبلد وأنه مقابل (**الْبَلَدُ الطَّيِّبُ**). وقال الزمخشري: " بِإِذْنِ رَبِّهِ بتيسيره، وهو في موضع الحال، كأنه قيل: يخرج نباته حسنًا وافيًا؛ لأنه واقع في مقابلة نَكِدًا، والنكد الذي لا خير فيه"[75]. فقد عقد الزمخشري علاقة تقابل التضاد من جهة المعنى بين (بإذن ربه) و(نكدا)، وهذا لا ينافي وقوع التقابل أيضا بين (والبلد الطيب) و(والذي خبث)، ذلك أنه ألمح إلى أن قوله تعالى (**بِإِذْنِ رَبِّهِ**) يدل على خروج نباته حسنا، و(نكدًا) ضده فهو الذي لا خير فيه. ويظهر أن السياق يدل على المقابلة بين المسند إليه لإحدى الجملتين، وهما (**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ**) و (**وَالَّذِي خَبُثَ**) وبين المسندين (**يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ**) و (**لا يَخْرُجُ إِلا نَكِدًا**) وإلا حصل التناقض بين المتقابلتين.

وهذا البناء التقابلي إشارة إلى أن من استقر فيه جانب الخير (أو جانب الشر) يبعُد عنه النزوع إلى غيره؛ فإسناد الإنبات إلى الله في قوله: (**بإذن الله**) يوحي بأن النبات الحسن إنما ينبت بعناية خاصة من عند الله، وأما الأرض الخبيث فلا تنبت إلا نباتا (نكدا)، الذي لا خير فيه، وبذلك يرْسم التركيبان صورتين حاضرتين للنفس البشرية في ذهن المتلقي، وهما صورة الفائز وما يلقاه من الاهتمام والعناية، وصورة الخاسر الذي تبدو عليه مشاعر الإخفاق وقلة الخير.

5- ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ﴾ [إبراهيم:٢٤ و٢٦]

(72) فخر الدين محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ، 339/29.

(73) ابن عاشور، مرجع سابق، 27 /235.

(74) محمد بن مكرم، مرجع سابق، (مادة نكد)، والرازي، مرجع سابق، 292/14.

(75) الزمخشري، مرجع سابق، ص 366.

تدل لفظة (**ثَابِتٌ**) على الدوام والقرار، وقوله (**أَصْلُهَا ثَابِتٌ**) إشارة إلى أن الشجرة متمكنة في غرسها وراسخة في الأرض. ولفظة (**اجْتُثَّتْ**) من الجَثّ، وهو قطع الشيء من أصله، واجتثّت استُؤْصِلت. شبّه الله الكلمة الطيبة بالشجرة الكريمة المَنبت تنبت الثمار في كل الأوقات التي وقّتها الله لها فيستفيد منها الناس، بخلاف الشجرة الخبيثة التي لا أصل لها ولا ثمار ينتفع بها الناس ولا تثبت عند أقل ريح.

ورد تقابل في المعنى بين (**أَصْلُهَا ثَابِتٌ**) و (**اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ**)، وقد أشار الزمخشري إلى ذلك فقال: " اجتثّت من فوق الأرض في مقابلة قوله: أصلها ثابت ". وقال ابن عاشور: " وجملة (**اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ**) صفة لشجرة خبيثة ... وهذا مقابل قوله في صفة الشجرة الطيبة (**أَصْلُهَا ثَابِتٌ**)"[(76)]. وإن التقابل الوارد بين (**أَصْلُهَا ثَابِتٌ**) و (**اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ**) تقابل التخالف من جهة المعنى لا تقابل التضاد، حيث إن ضد (الاجتثاث) ليس هو (الاستقرار) المفهوم في قوله (**أَصْلُهَا ثَابِتٌ**)، فـ(الاجتثاث) يخالفه ولا يضاده.

إن الناظر في هذا البناء التقابلي ليجد صورة فنية حية تبرز المعاني في صورة محسوسة، وذلك باستعمال ظواهر الطبيعة في رسم صورتين حاضرتين متقابلتين؛ صورة شجرة طيبة المنظر والثمرة لها أصل ثابت وفروع ممتدة وأكلها دائم، وفي مقابل ذلك تأتي صورة أخرى لشجرة خبيثة ضعيفة لا قرار لها وليس لها ثمرة ولا منفعة فلا بقاء لها، ومثل ذلك كلمة الباطل لا تنفع ولا تدوم. ولا يخفى أن استعمال هذا النوع من التصوير الفني أسهم في تداعي المعاني وتصورها لدى المتلقي فلذلك أشار أبو حيان أن المعاني المدركة بالعقل متى أبرزت بالمحسوس، فإنه يحصل الفهم والمطلوب[(77)].

خاتمة

يتبين من هذه الدراسة أن ظاهرة التقابل الدلالي ظاهرة فنية مهمة لها فاعلية كبيرة على إظهار المعاني وتناسقها في النصوص القرآنية. وقد وردت أنواع مختلفة من هذه الظاهرة في القرآن الكريم وتتشكل بمجموعها في تداعي المعاني لدى المتلقي وترسيخها. وقد أكدت النماذج المدروسة ورود التقابل الدلالي في الألفاظ المفردة وفي التراكيب في القرآن الكريم، وأن العلاقة القائمة بين الثنائيات المتقابلة منها ما يكون بالتضاد أو بالتخالف أو بالتناقض من جهة اللفظ والمعنى معا، أو من جهة المعنى دون اللفظ. وقد أكثر القرآن الكريم من استعمال الظاهرة من أجل إيصال بعض المعاني الخفية التي لا تدرك إلا من خلال تلك المقابلات، خاصة في تقابل التراكيب والجمل.

إن الزمخشري يدرك ظاهرة التقابل الدلالي بأنواعه المختلفة، حيث إنه استعمل أكثر من مصطلح للتعبير عن الظاهرة، مثل المقابلة، والنقيض، والخلاف، من خلال تفسيره لبعض النصوص القرآنية. ويبدو أنه يستعمل مصطلح (النقيض) أحيانا للدلالة على التضاد، كما أوردنا في النموذج الأول، حيث أشار إلى أن (سمان) نقيض (عجاف) مع أن العلاقة القائمة بين اللفظتين علاقة التضاد، كما أنه يُكثر من استعمال مصطلح النقيض بدلا من التخالف لبيان العلاقة القائمة بين المقابلين.

وتبين من خلال الدراسة التطبيقية أن الزمخشري لا يتقيد بظاهر المحسّن المعنوي في النص القرآني، بل كان ينظر إلى بنية التقابل أنها أداة لإنتاج الدلالة وإبراز المعنى في السياق، وكان يستند إليها ويجعلها أرضية لبيان دلالات الآيات القرآنية، فلا ينظر إليها أنها مجرد تحسينات معنوية.

هذا، وقد أولى الزمخشري اهتماما واضحا للتقابل الدلالي في التراكيب والجمل لذوقه السليم وفهمه العميق في استنباط. ولا شك أن البناء الأسلوبي للتقابل يتطلب فهما عميقا لدلالات الخطاب القرآني، ذلك لأنه يعطي فرصة أكثر لإبراز المعاني الخفية في النصوص القرآنية،

قائمة المراجع

1- إبراهيم، مصطفى إبراهيم، الزيات، أحمد الزيات، عبد القادر، حامد، والنجار، محمد. (2004). **المعجم الوسيط**. القاهرة: مجمع اللغة العربية.

2- ابن عاشور محمد الطاهر. (1997). **التحرير والتنوير**. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.

3- ابن فارس، أبو الحسين أحمد. (1979). **معجم مقاييس اللغة**. (تح عبد السلام محمد هارون) مصر: دار الفكر.

4- ابن منظور، محمد بن مكرم. (2003). **لسان العرب**. بيروت: دار صادر.

5- أبو حيان، محمد يوسف. (2001). **تفسير البحر المحيط**. (تح عادل أحمد عبد الموجود وغيره) بيروت: دار الكتب العلمية.

6- أبو خضر، سعيد جبر. (2004). **التقابلات الدلالية في العربية والإنجليزية تحليل لغوي تقابلي**. اربد: عالم الكتب الحديث.

7- أبو الطيب اللغوي، وعبد الواحد بن علي. (1996). **الأضداد في كلام العرب**. (تح عزة حسن) دمشق: دار طلاس.

(76) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، 13 /225.

(77) محمد بن يوسف أبو حيان، المرجع السابق، 411/5.

8- أسد اللهي، سعيد، وبرهاني، شفيع. (2009). مباحث لغوية في تفسير الكشاف، **مجلة التراث الأدبي**، 1(2)، 153-168.

9- الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب. (د. ت.). **المفردات في غريب القرآن**. (تح محمد سيد كيلاني)، بيروت: دار المعرفة.

10- الألوسي، شهاب الدين الحسيني. (1415ه). **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. (تح علي عبد الباري عطية) بيروت: دار الكتب العلمية.

11- أمين، دلدار غفور. (2007). **تفسير الكشاف للزمخشري: دراسة لغوية**. عمان: دار دجلة.

12- أنكير، عبد القادر. (2015). **آليات التأويل النحوي ووظائفه لدى جار الله الزمخشري من خلال تفسيره الكشاف**. رسالة دكتوراه، جامعة محمد بن عبد الله، وجده، المملكة المغربية.

13- الجنابي، أحمد نصيف. (1984). ظاهرة التقابل في علم الدلالة، **مجلة آداب المستنصريّة**، 10، 13-30.

14- الرازي، فخر الدين محمد عمر. (1420 ه). **مفاتيح الغيب**. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

15- الزمخشري، محمود بن عمر. (2009). **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. (تح خليل مأمون شيحا) بيروت: دار المعرفة.

16- زنكة، آلان. (2002). **العلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم**. رسالة ماجستير، جامعة بغداد. كلية التربية للبنات.

17- السامرائي، فاضل صالح. (1970). **الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري**، بغداد: دار الندين للطباعة والنشر.

18- عبد التواب، رمضان. (1997). **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**. القاهرة: مكتبة الخانجي.

19- عبد الله، صفية والجودي، نور السادات. (2015). **التقابل وبلاغته في كتابات القدماء والمحدثين**. مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، 2(11)، 107-119.

20- العبيدي، عبد الكريم (1989). **ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية**. رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، بغداد.

21- عز الدين، عماري (2010). **أسلوب التقابل في الربع الأخير من القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر.

22- العسكري، محمد صالح شريف، مظفري، سودابه، وهاديلو، بهمن (2017). **دراسة تناسب السياق في التقابلات الدلالية في الجزء الثلاثين من القرآن الكريم**. آفاق الحضارة الإسلامية، 19(2)، 45-71.

23- علوان، علي محمد، بابكر، سلوى إدريس. (2014). **الظواهر اللغوية الدلالية في تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن: دراسة تطبيقية**. مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس، 48(2)، 149-170.

24- علي، سعدون أحمد (2009). **الأثر الدلالي لمعاني القرآن للفراء في الكشاف للزمخشري**، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، 12(4)، 45-66.

25- فلحي، تغريد. (2007). **التقابل الدلالي في نهج البلاغة**. رسالة ماجستير، جامعة الكوفة.

26- القرعان، فايز عارف. (2006). **التقابل والتماثل في القرآن: دراسة أسلوبية**. الأردن: عالم الكتب الحديث.

27- القرعان، فايز عارف. (2007). **بنية التقابل وأثرها في توليد دلالة النص القرآني**، مؤتمر اتحاد المدرسين للغة العربية الدولي الثالث، باندونج، اندونيسيا.

28- قطب، سيد. (2003). **في ظلال القرآن**. القاهرة: دار الشروق.

29- محمود، المثنى عبد الفتاح. (2008). **نظرية السياق القرآني: دراسة تأصيلية دلالية نقدية**. عمان: دار وائل للنشر.

30- معطان، موسى محمود. (2017). **أسلوب المقابلة في القرآن الكريم: دراسة تطبيقية على سورة الرعد وأثر ذلك في المعنى**. مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، 6(13)، 79-114.

31- النجار، أشواق محمد إسماعيل وصالح، زيار جلال. (2016). **علاقات التقابل النصي في آيات النعيم والجحيم في القرآن الكريم**. مجلة الآداب، 116، 81-112.

32- AlHedayani, R (2016). *Antonymy in Modern Standard Arabic*, PhD thesis: University of Sussex, UK.

33- Hamada S. A. Hassanein (2017). Translating aspects of lexical-semantic opposition from Qur'anic Arabic into English: a cross-linguistic perspective, *Perspectives*, 25:1,137-156.

34- Hassanein, H. (2012). *The lexical semantics of antonymy in the Qur'an: A linguistic study*. PhD thesis, Göttingen.

35- Murphy, M. Lyne, et al. (2009), "Discourse functions of antonymy: A cross-linguistic investigation of Swedish and English." *Journal of Pragmatics*, vol. 41, 2159 – 2184.